الأسرة والمرأة في الإسلام

المرأة في الإسلام:

كانت الأمم الخالية تنظر إلى المرأة نظرة احتقار وازدراء، حتى إن أهل أثينا -وأمتهم أعظم الأمم القديمة رقيًّا- عاملوها معاملة سقط المتاع، تباع وتشترى، فليس لها أهلية التصرف، ولا تصلح إلا لخدمة البيت، وتربية الأطفال، وهي بعد دنسة ورجس من عمل الشيطان.

وقد جاء في مؤتمر عقد في فرنسا عام ٥٨٦هـ، أن المرأة إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل. وهكذا ظلت المرأة مجهولة القدر، مجحودة الفضل، ترزح تحت أعباء ظالمة، وتقاليد جائرة، فهي في الصين حبيسة، وفي الفرس مجهولة القدر، وفي مصر حقيرة، وفي أوربا مملوكة، وفي البلاد العربية متاعاً يورث[1]، حتى إذا ما جاء الإسلام أنصفها وبوأها مكاناً سامياً.

الإسلام والمرأة:

١- أوضح الإسلام أنها والرجل من أصل واحد، ومن نفس واحدة، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[2].

٢- نظر الإسلام إليها باعتبارها عضواً في المجتمع الإنساني، كما نظر

---

(١) جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، جـ٢، ص١٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

إلى الرجل، وساوى بينها وبينه في كل ما فيه صلاح النفوس والأبدان، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴾(١).

وقال جل شأنه: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(٢). وقال عز من قائل: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ** ﴾(٣).

٣- كرّمها في أطوار حياتها، كرمها أُمًا وكرمها بنتًا، وكرمها زوجًا.

أ- كرمها أُمًا تكريمًا ليس وراءه تكريم، فقرن الإحسان إليها بعبادة الله وحده، فقال تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾(٤). وقال جل شأنه: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾(٥). وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: **أمك**، قال: ثم من؟ قال: **أمك**، قال ثم من؟ قال: **أمك**، قال ثم من؟ قال: **أبوك** ».

ب- كرمها بنتًا، فجعل لها نصيبًا في الأرث، وعلى أبيها نفقتها حتى تتزوج، ولها الحق في استئمارها عند زواجها، ولها أهليتها في التعاقد وفي التملك إلى غير ذلك.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.

جـ- كرمها زوجة فقد جعل لها حقوقاً، وعليها واجبات[1].

كما كرم الإسلام الإماء والجواري -وهن إناث الرقيق- وأصل الجواري هو ما يسبيه الفاتحون في الحرب من النساء والبنات، إذ يصرن ملك الفاتحين مهما علا شأنهن، يستخدمونهن أو يبيعونهن أو يهدونهن أو يعتقونهن.

وقد لعب الجواري دوراً مهماً في التاريخ والمجتمع العباسي، إذ صار بعضهن أمهات الخلفاء والسلاطين والأعيان، كما نال بعضهن حظوة كبيرة عند أسيادهن، ومنهن من صارت من السلاطين مثل شجرة الدر. وكان للجواري دور كبير في المجتمع لا يقل عن دور الذكور، بل ربما زاد كثيراً.

ونظراً إلى أن الجواري كن أكثر تحرراً فقد تهيأت لهن فرص المشاركة في الحياة الاجتماعية أكثر من غيرهن من الحرائر، وكانت الجواري أحياناً عرضة لغيرة الزوجات الحرائر. وكان للجواري أحياناً دور في المؤامرات السياسية، فمثلاً كن يستخدمن في أعمال التجسس أو التفريق أو الإيقاع بين الخصوم أوالتخلص منهم. وتمتع بعض أمهات الولد بألقاب الحرائر من زوجات الخلفاء والسلاطين وذلك بفضل إنجابهن أولاداً أحراراً[2].

(١) د. أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢) د. حسن الباشا، الحضارة الإسلامية، ص١٢٦-١٢٨.

الأسرة في الإسلام:

تتكون الأسرة من الرجل وزوجته وأولاده، وهي أساس المجتمع، أو هي مجتمع صغير؛ لذا عني الإسلام بأمرها عناية عظيمة. واهتم بشأنها اهتمامًا بالغًا، فأحاطها بالرعاية والعناية التي تجعل السعادة تظلها دائمًا.

ولكي ترفرف السعادة على هذا المجتمع الصغير، وتحوط السعادة والهناء هذه الأسرة، فقد بين الإسلام لكل من أفرادها ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

أولاً- حقوق الرجل وواجباته:

١- أنه رب الأسرة والقائم بشؤونها، والإنفاق عليها.

٢- أن له الحق في التزوج بأكثر من واحدة إلى أربع بالشروط المعروفة في الإسلام، من استطاعة النفقة، وعدم الإضرار، وعدم الخوف من الجور والظلم، وإلا فواحدة.

٣- أباح له الطلاق ولكن بَغّضه فيه وكرهه إليه: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»؛ ولذلك فالمسلم لا يقدم عليه إلا لعذر صحيح، وسبب مشروع.

٤- أمره أن يعاشر زوجته بالمعروف، وشككه في وجدانه إن هو أحس من نفسه بكراهيته لها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

ثانيًا- حقوق المرأة وواجباتها:

١- أنه جعل لها على زوجها المهر، والنفقة، والمعاشرة بالمعروف، وأعطاها حرية التصرف في مالها، وجعل أمرها بيدها تطلق نفسها متى شاءت إلى غير ذلك مما يرفع من شأنها، ويحفظ لها كرامتها الإنسانية.

٢- أنه جعل العلاقة بينها وبين زوجها قائمة على معنى إنساني كريم، فزوجها يسكن إليها على أساس من المودة والرحمة. قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١].

٣- جعلها على قدم المساواة مع زوجها في الحقوق والواجبات: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾[٢]. وهذه الدرجة ضرورية لنظام البيت، إذ إن كل مجتمع مهما كان صغيراً لابد له من مشرف حتى يصلح حاله، ويستقيم نظامه، والرجل في هذا أقدر من المرأة، كما هو رأي عامة الحكماء وعلماء الاجتماع.

٤- لم يكلفها الشارع بإزاء ذلك عمل شيء حتى إرضاع ولدها، فإنه كلف به الزوج.

٥- عليها أن تحافظ على زوجها في عرضه وماله، وأن تعمل ما في وسعها لسعادته وهنائه، ففي سعادته سعادتها، وفي هنائه هناؤها، وعامة

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

ما وجب عليها للزوج ليس فيها عمل إيجابي، ولكنه ترك ليس فيها عناء عليها، ولا مشقة، بل فيه صدق شرفها، ورفعة منزلتها[١].

ثالثًا- حقوق الأولاد وواجباتهم:

١- أن يقوم الوالدان بتربيتهم، وتنشئتهم تنشئة صالحة، حتى ينفعوا أنفسهم ووطنهم.

٢- وعليهم أن يعرفوا حق الوالدين عليهم وأن يبروهما، وقد عني الإسلام ببر الوالدين والإحسان إليهما عناية بالغة حتى إنه قرن الإحسان إليهما بعبادته في أكثر من آية من كتابه الحكيم، فقال جل شأنه: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[٣]. والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة مشهورة[٤].

---

(١) د. أبو زيد شلبي، الحضارة الإسلامية، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣-٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) المرجع السابق، ص٢٧٦.